دراسة الدينامية العلائقية لدى أسرة المراهق الجانح

ڤاسي خليفة– أستاذ مساعد(أ) بجامعة بجاية.

– ملخص باللغة العربية:

هدفت الدراسة الحالية إلى دراسة الدينامية العلائقية لدى أسرة المراهق الجانح ومن أجل التحقق من فرضيات البحث تم تطبيق أدوات البحث النسقي المتمثلة في المقابلة العائلية، المخطط الجيلي والخريطة العائلية. وسيتم عرض نتائج حالة عائلة واحدة كنموذج، ولقد أسفرت نتائج البحث على أنّ ما يميز الدينامية العلائقية لدى هذه الأسرة وهذا من الناحية البنائية هو الصراعات الكثيرة غير المحلولة، والحدود والأدوار المختلطة والتي تتميز بالجمود فيما يخص العلاقات بين أفراد العائلة الواحدة وما بين الأجيال مما أدى إلى اختلاط الأدوار وهذا ما بينه اختبار تفهم العائلة وكل هذا ساهم في تأزم النسق العائلي أمّا على المستوى السياقي فقد أظهرت النتائج أنّ الدّينامية العلائقية لدى هذه الأسر تتميز بظهور صراعات الولاء واكتساب المراهق الجانح للشرعية التدميرية وبذلك التعدي على ممتلكات الغير وهذا بحثا عن العدالة والقانون الغائبين في أسرتهم وما بين الأجيال .

كلمات مفتاحية: الدينامية العلائقية–المراهقة–الجنوح.

ملخص باللغة الفرنسية:

Cette étude était pour l'objectif d'étudier la dynamique relationnelle chez les familles des adolescents délinquants, donc nous allons présenter des résultats d'une famille ayant un adolescent délinquant.

Pour confirmer ou infirmer les hypothèses de la recherche, nous avons opté pour les outils de recherche qui consiste en les entretiens familiaux, le Génogramme et la carte familiale. Ces

outils ont permis d'arriver aux résultats avancés à savoir : que la dynamique relationnelle des familles ayant un adolescent délinquant qui se base sur l'étude structurale se caractérise par l'apparition des conflits non résolu ainsi que les rôles et frontières qui sont rigide et flou entre les membres de la même famille ainsi qu'entre générations, que le délinquant manifeste un conflit de loyauté et il acquit une légitimité destructive qui va lui permettre de transgresser les propriété des autres en cherchant la justice et la loi absentes dans sa famille .

Mot-clé : dynamique relationnelle- adolescence- délinquance.

الإشكالية:

يعتبر الجنوح من بين أهم وأعقد المشكلات التي تصيب ليس فقط المراهق، بل الأسرة والمجتمع أيضا لما ينتجه هذا السلوك من أثار سلبية على هذه السياقات، فهو ظاهرة لا ترتبط ببلد معين ولا بزمن معين، فقد عرفها حتى عهد الفلاسفة، إذ يقول **Socrate** نقلا عن **Chambry (1990,P17)**، "...**إن الشباب يحبون الرخاءLuxe، فيتميزون بتصرفات صاخبة لا يعترفون بالقانون ولا يحترمون العمر**..."، أمّا أفلاطون فيقول: "إنّ شبابنا غير مهذّبين، لا يحترمون السلطة ولا من هم أكبرهم، فأطفالنا اليوم يناقشون أباءهم في الكلام بالثرثرة ولا يقومون بالأعمال، ببساطة هم سيّؤون" (عن،**42: Nini, 2016**). فالجنوح أصبح في تزايد وتفاقم وذلك راجع إلى العديد من العوامل (اجتماعية، اقتصادية، نفسية،...)، وبما أن الجنوح محدّد قانونيا بالفترة ما بين(**13-18سنة**) فهذا الزّمن يتناسب مع يسمّيه النفسانيون مرحلة المراهقة. إذن يؤكد Cancrini أن المراهقة وخصائصها السيكوباتولوجية لا يمكن فصلها عن السياق الأسري الذي تحدث فيها، فالجنوح الذي يمس المراهق كضحية بالدرجة الأولى ما هو إلاّ تعبيرا عن الحالة المرضية والعراقيل التي تمر بها الأسرة في دورة حياتها لتصبح لديها نمط خاص لطبيعة توظيفها.(**1989**). وفي نفس السّياق

يوضّح **Fontaine (1990)** بأن الأسرة تعتبر لب ومصدر النمو والتنشئة الاجتماعية، فهي تلعب دور هام ومحدّد في نمو أفرادها وذلك من خلال نوعية العلاقات التي بنيت بينهما. وفي هذا الصدد تشير بعض الدراسات الجزائرية التي تم الاطلاع عليها والتي تناولت الجنوح من زاوية العلاقات التي تدور في الأسرة مثل: **(ميزاب 2007، Gharbi Bergheul 2012 2013)**، نجد أنها كلّها جاءت لدراسة الظاهرة من خلال فهم الأسباب التي أدّت لظهور الجنوح وذلك بالتركيز سواء على الأسرة(المعاملة الوالدية السيئة، الحرمان، التسلّط، العنف الأسري) أو على المجتمع(كتأثير الثقافة، تأثير جماعة الرفاق) في ظهور هذه الظّاهرة، وحتى دراسة الباحث **يعقوب (2017)** لنيل شهادة دكتوراه علوم التي تطرّقت إلى فهم سلوك العنف لدى المراهق وذلك في إطار النسق الأسري، فقد انحصر منهج دراسته في الوصف الإحصائي للعلاقة بين المعاملة والوظيفة الوالدية وظهور السّلوكات العدوانية لدى المراهقين، وليس في إطار الدراسة والبحث النسقي. لكن ما لفت انتباه الباحث هو تعذر الحصول على الدراسات الجزائرية أو حتى الأجنبية التي تناولت ظاهرة الجنوح من وجهة النظر النسقية، خاصة وأن الباحثة **Ducommun -Nagy** أكّدت على أن هناك النقص الكبير في الدراسات في ميدان الجنوح واضطرابات التصرّف عامة من وجهة نظر النسقية وانعدام الدراسات التي تناولت الظّاهرة من خلال النظرة السياقية**(Ducommun –Nagy,2010)**، الجنوح فهو بمثابة عرض كباقي الأعراض الأخرى كالفصام وفقدان الشهية العصبي، فالمراهق الذي يحمل هذا العرض يسمى بالمفحوص المعيّن **Patient désigné** فهو مؤشّر إلى اضطراب البنية الأسرية على مستوى الحدود والأدوار وظهور الصّراعات، إذ يؤكد بأنه يكفي تقييم النسق الأسري لمعرفة كيف أن المفحوص يعتبر كمؤشّر لاضطراب العلاقات في البنية الأسرية، ليصبح النسق الأسري كما

يسميه الباحث مضطرب في وظيفة بنيته.**(Minuchin, 1979)**. ويؤكد **Nagy (1973)** من جهة أخرى أن الجنوح هو عبارة عن استجابة للولاء**(Loyauté)** ولـ:الشرعية المدمّرة **(Légitimité destructrice)**، فالولاء هو عبارة عن قوة معدلة للنسق الأسري، فمراهق يقدر ويثمّن الجهود والعطاء الذي خصّ بهما من طرف والديه (الدّيون) عندما كان طفلا، لهذا سيحاول أن يرد لهما الجميل سواء بطريقة مادية ملموسة أو معنوية ضمنية وذلك بالتضحية بنفسه كحالة **العرض**symptôme(الجنوح)، لهذا فإن التوازن ضروري في العلاقات بين المراهق والوالدين على مستوى الديون والاستحقاقات، فإن كان هناك اضطراب في ميزان الحسابات سيؤدي ذلك إلى الإحساس باللاّعدالة والظلم وذلك باكتساب الشرعية المدمّرة أو حتى تبني وظيفة الأبوية المرضية التي تحدّد من إمكانياته في الاستقلالية واللّجوء بذلك إلى البحث عن الاهتمام والتقدير خارج الأسرة. لكن هل بإعادة ممارسة الظّلم من طرف المراهق على الأخرين هو بمثابة فقط محاولته في تحقيق الإنصاف احتجاجا عن اللاّعدالة التي تلقّاها من طرف الوالدين. أليست طريقة أو استجابة من المراهق من أجل البحث عن القانون والعدالة الغائبة في العائلة ومحاولة إيجادها عند الآخرين أو حتى لدى عدالة القانون المؤسّساتي(الدّخول إلى مركز إعادة التربية) وهذا حتى وإن كان على حساب تعرّضه للعقاب من أجل تحقيق نوع من الإنصاف نتيجة للضّرر الذي ألحقه بالطّرف الثالث البريء، وبذلك يكون الجنوح هو الاستجابة الوحيدة التي يجدها المراهق من أجل الاحتجاج على غياب المعايير القانونية الغائبة والتي ترمز إلى العدالة بين الأخذ والعطاء في التعاملات بين أفراد العائلة .

وانطلاقا من كل ما ذكر نطرح التساؤلات التالية:

– بما تتميّز الدّينامية العلائقية لدى أسر المراهقين الجانحين؟ وتتفرّع منه التساؤلات التالية: هل الجنوح هو استجابة المراهقين للدينامية العلائقية المريضة والتي تتميّز بنيتها العائلية بالصراعات وغموض الأدوار والحدود؟ وهل عرض الجنوح لدى المراهقين هو تعبير عن صراعات الولاء، وللشرعية التدميرية التي تتميّز بها الدينامية العلائقية وهذا من أجل البحث عن العدالة القانونية الغائبة في عائلته؟

ومن أجل الإجابة على هذه الأسئلة قُمنا بصياغة الفرضيات التالية: ما يميّز الدينامية العلائقية لدى هذه الأسر هو ظهور الصّراعات وغموض الحدود والأدوار، إضافة إلى صراعات الولاء والشرعية التدميرية التي تظهر على شكل عرض الجنوح لدى المراهقين من أجل البحث عن العدالة القانونية الغائبة.

وانطلاقا من هذه الفرضية العامة نطرح الفرضيات الجزئية التالية: إنّ الجنوح هو بمثابة استجابة المراهقين للدينامية العلائقية المريضة والتي تتميّز بنيتها العائلية بالصراعات وغموض الأدوار والحدود، وأنّ عَرضْ الجنوح لدى المراهقين هو تعبير عن صراعات الولاء، وللشّرعية التّدميرية التي تتميّز بها الدينامية العلائقية وهذا من أجل البحث عن العدالة القانونية الغائبة في عائلتهم.

– تحديد مفاهيم الدّراسة إجرائيا:

– الدّينامية العلائقية:

هي تلك العلاقات التي تجمع أفراد العائلة في إطار دائري أي أنّ العلاقة بين الأب والأم تحدّدها تلك العلاقة بين الطفل والأم وبين الطفل والأب وهكذا دواليك، وهذه الدينامية العلائقية تتجلى في الصراعات القائمة بين مختلف الأنساق الفرعية ونوعية الحدود والأدوار التي تتخلّلها والتي يمكن أن تظهر على مستوى المقابلات والبطاقة العائلية، هذا من جهة التناول البنائي، أمّا على مستوى التناول السياقي فالدينامية العلائقية هي

نفسها تلك العلاقات الدائرية بين أفراد العائلة التي تظهر على شكل الولاء وصراعاته بين أفراد الأسرة وحتى عبر الأجيال وكذلك ظهور الشرعية التدميرية نتيجة الظلم واللاعدالة التي تتميّز بها الأسرة .

- المراهق الجانح:

هو الشخص الذي يتراوح عمره ما بين**(17-18 سنة)**، وهذا حسب مراهقي أسر مجموعة البحث، حيث ارتكب فعل يعاقب عليه القانون حيث يدخل في إطار الأفعال الجانحة وفي هذا السياق يتمثل هذا الفعل في السّرقة والتعدّي على أملاك الغير بالتخريب، كما أنّه قد تمّت محاكمته قضائيا وأدخل إلى مركز إعادة التربية .

أدوات البحث:

بعدما تم التأكد من توفر خصائص مجموعة البحث التي تتمثل في خمس(عائلات) يكون أحد أفرادها مراهقا جانحا، تمّ بعد ذلك يتم تطبيق أدوات البحث المتمثلة في: المقابلة العائلية، المخطط الجيلي والخريطة العائلية على حالة عائلة " آمين " وكانت النتائج كالتالي:

- عرض ومناقشة حالة عائلة " آمين":

يبلغ أمين من العمر 17 سنة، ذو مستوى دراسي متوسّط (السنة الرابعة أساسي)، تتمثّل مشكلاته السلوكية في السّرقة والعنف وتخريب الممتلكات.

-عرض نتائج المقابلة العائلية الأولى مع عائلة أمين:

- الوضعية الفضائية للعائلة:

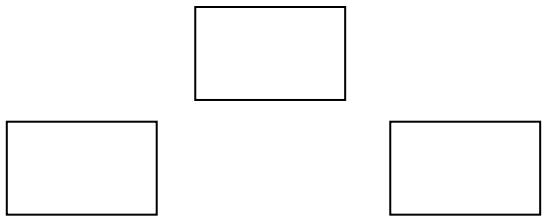

سعدية سع

كرسي

آمين آن

كرسي

عرض نتائج المقابلة العائلية التي أجريت مع عائلة آمين بإيجاز:

جدول رقم (12): نتائج المقابلة العائلية الأولى مع عائلة آمين.

المرئي والمسموع	المشعر به والفرضيات	المفاهيم والمراجع النظرية
– تدخل الوالدة أوّلا ثم يتبعها آمين بترك مسافة بينه وبين والدته، تلقي الوالدة التّحية وتجلس حيث تضع رجلها اليمنى على رجلها اليسرى واثقة من نفسها، ثم يجلس بعدها آمين وكأنّه منزعج من حضور والدته. –بح: يقدّم الباحث نفسه، ويطلب من العائلة تقديم نفسها. –سع: أنا سعدية، 52 سنة أعالج لدى الطبيب العقلي بسبب الاكتئاب الذي أعاني منه منذ وفاة إخوتي بحادث مرور. وهذا الزّعيم آمين 17 سنة يعني من مشاكل	–يمكن ملاحظة نوع من الثّقة والإرتياح لدى الوالدة، وهذا بطريقة دخولها ووضعية جلوسها، فهل هي معتادة على هذه الوضعيات؟، أم أنّها هي من تملك السلطة؟(الناطقة الرّسميةLe Porte Parole). –يمكن أن نتساءل عن أهمية السن بالنسبة لـ سعدية، خاصة وأنّها جميلة وأنيقة تشبه إلى حدّ ما النساء الأجنبيات في المظهر، تنورة قصيرة، فهل كل هذا عبارة عن طريقة للصراع ضد الاكتئاب الذي تعاني منه بسبب وفاة إخوتها؟ أم بذكر معاناتها تشعرها بالارتياح وعدم المسؤولية اتجاه معاناة ابنها آمين؟ أين تشير إليه و تشبّهه	**الإتّصال اللّفظي وغير اللّفظي(Watzlawick,1972)** **المريض المعيّن (Andolfi et al,1985)** **الاستعارة(Andolfi et al,1985)**

عديدة.	بالزعيم فماذا يعني هذه الإستعارة؟ هل هو أيضا يملك السلطة في العائلة؟ أم أنّ سلوكاته الجانحة هي التي جعلت منه بطلا؟	
-بح: مشاكل عديدة؟ -سع: نعم قل له أن يقول لك؟	-هل بصمته أنّه لا يريد التواصل مع الباحث.	**رفض الإتّصال (Watzlawick,1972)**
-بح: لقد سمعت والدتك تقول أنّك تعاني من مشاكل، هل تستطيع أن تكلّمنا عن هذه المشاكل؟		
-آن: ينظر إلى الأرض ولا يجيب. -بح: هذه مشكلاتك أنت من يحسّ بها أكثر أنت أم والدتك؟، فمن يستطيع إخبارنا عنها أكثر منك؟	-يحاول أن يخفّف آمين من معاناته وذلك بتعميمها على كل أفراد عائلته، فهل هذا يعني أنّه يريد أن يبرّر مشكلاته السلوكية وربطها بالسياق العائلي المريض؟ كما يربطها بالحظ والقدر، وهل هذا من أجل التهرّب من المسؤولية؟	
آن: أنا لا أعاني من شيء ! *يتردّد قليلا ثم يقول*:عائلتنا كلّها تعاني، ليس لدينا الحظّ هذا قدرنا.	-يصف آمين معاناة أفراد عائلته بإختصار شديد، لتقاطعه سعدية لتشير إلى أنّ سبب معاناة العائلة تعود إلى زوجها الذي تخلى عنهما. لذا نتساءل عن كيف عاشت سعدية إهمال و هجران زوجها لها أي كيف يتّصف هذا النسق الزّوجي؟، وكيف عاش آمين سوء معاملة	
-بح: بماذا تعاني عائلتك؟ -آن: والدتي مريضة،		**الإهمال(Sotile et al,1987)**

أختاي إنفصلتا عن زوجيهما وهما تعيشان معنا، والدي كذلك. –سع: إن زوجي مخلوف بطّال لا يعمل بل يزيد من معاناة العائلة وهذا بسلوكاته الإدمانية على الكحول إضافة إلى السّرقة، وهذا الذي تسبب في سجنه. فهو غير مبالٍ بنا تماما بل يتدخّل في شؤون أبنائه خاصة آمين و مليكة، فهذا هو شغله الدائم، كما يعامل آمين بقسوة ويضربه لأتفه الأسباب، أمّا أنا فلا يبالي ولا يهتم لأمري أبدا، لا يعرف إلا الصراخ في وجهي إن لم يجد المال عندي، لأني أعمل في ورشة الخياطة... تفكّر للحظة ثم تكمل الكلام: –أمّا إيمان فقد إنفصلت عن زوجها بسبب المخدّرات، ومليكة أيضا تطلّقت وتركت لزوجها بنت. أظنّ أنّ عائلتنا أصابتها اللّعنة عائلة زوجي مات أفرادها جميعا بنفس	والده له وهذا يعيدنا إلى مفهوم الظّلم؟ ماذا عن السّلطة فهي بيد من؟ هل الوالدة قادرة على تحمّل هذه المسؤولية؟ –يمكن ملاحظة التشابه الكبير بين ما عاشته الأجيال السابقة وما تعيشه عائلة آمين. لكن ما الدور الذي تلعبه كل من اللّعنة، سوء الحظ، والقدر في معاناة هذه العائلة؟ –إن إشتباه آمين بوالده يذكّر هذا الأخير بوضعيته عندما كان في سنّه، وهل يمكن أن نطلب الوالد من الإبن أن لا يشبهه؟ وهل الشبه هو شعور بالإنتماء بالنسبة لـ آمين؟	**العنف في العائلات (Hefez.,2004)** **النقل البينجيلي (Nagy,1963)** الأدوار والحدود(عائلات متشابكة) **(Minuchin,**

المرض، وعائلتي بحوادث المرور، وعائلتنا أيضا تعاني،... ثمّ تبكي بحرقة وإبنها آمين غير مبالٍ تماما بذلك، فهو ينظر إلى الهاتف لمعرفة الوقت. -بح: لماذا يعاملك والدك بقسوة حسب والدتك؟ -آن: لأنّي أشبهه. -بح: تشبهه؟ في ماذا؟ -آن: الكل يقولون أنّي أشبهه في التصرّفات و في السلوكات التي أقوم بها، فهو لا يتحمّل ذلك ولأنّي لا أسكت له ولا أرضخ لأوامره، هو لا يحبّني أنا أيضا لا أحبّه، هو أناني يحب فقط بطنه (ليقصد بذلك حبه لشرب الخمر) ولا يكترث لنا وهو يتدخّل في شؤوننا ولا يسمح لي بالخروج مع أصدقائي، وأنا بدوري لا أطيعه، لهذا فنحن نتشاجر دائما، وأختايا تتشاجران أيضا، إذن فوالدي لا يحب أحدا في العائلة إلاّ إيمان التي تطيعه وتعطيه المال لأنّها	ماذا عن الحدود التي تظهر على أنّها منتشرة ومتفشّية؟هل هي عائلة متشابكة؟ إضافة إلى الصراعات والتحالفات بين النسق الفرعي للأخت إيمان مع الوالد؟ ضد النسق الذي يجمع الوالدة بكل من آمين ومليكة؟ -يظهر أنّ الوالدين غير مستثمرين في علاقاتهم الزّوجية، الشيء الذي يمكن أن يؤثّر سلبا على تربية الأبناء بأساليب متناقضة، لتظهر في النسق العائلي، صراعات ما بين مختلف الأنساق التّحتية وتحالفات مرضية مع وضد الأنساق الأخرى ليسود القلق وعدم التفاهم. لكن شبح الموت والحداد الذي يحوم في عائلة آمين من جهة الوالدة (أحمد، سعيد وسمير بحادث مرور) وأيضا من جهة الوالد(محند، كمال وجمال بالسكتة القلبية)، أليس هذا ما يسمّيه Nagy بعدالة التّوزيع. ولهذا نتساءل عن كيفية تحمّل وتسيير هذه الحدادات في هذه العائلة؟ والذي يمكن أن يزيد	**(1979,1974)** **النسق الفرعي الأخوي (Minuchin, 1988)** **التحالفات(Minuchin,1979)** **الحداد والشّبح (Goldbeter-Merinfeld,2005)** **عدالة التّوزيع أو الإنصاف (Heireman,1996)** **الوظيفة(Minuchin,1998)**

معلّمة. –بح: كيف تحدث الأمور في عائلتك؟ السؤال موجّه لـ سعدية. –سع: قلت سابقا أني وزوجي لا نتفاهم تماما ولا يكلّمني إلاّ بالصراخ والشجار، وآمين أيضا يريد أن يتبع طريق والده لكنّني أمنعه فهو يطيعني هو و مليكة، فأمّا إيمان فهي تطيع وتحبّ والدها أكثر منا، فلا تجلس معنا ولا تحدّثنا كثيرا وتتشاجر معنا وتدافع عن والدها. لهذا أنا تعبة كثيرا من هذه الضغوطات، كما أنّ عائلتي كلّها فقدتها قي لعنة حوادث المرور صورتهم تتبعني أينما كنت وحتى في الأحلام، فلم يبقى إلاّ زوجتيْ إخوتي وأبنائهما، والآن أعاني في هذه العائلة المشؤومة. –بح: يظهر أنّ الجميع يعاني حتى في عائلتكم الممتدّة؟	الأمور سوءا وهذا من خلال تخلّي الوالدة عن دورها و وظيفتها في العائلة من جرّاء الإكتئاب الذي تعاني منه. –ماذا يعني الرّجل بالنسبة لهذه العائلة؟ هل التعدّي على الغير ؟السّرقة؟ لكي ينال شرف الدّخول إلى السّجن؟ ماذا عن هذه الإستعارة القبائلية؟ فهذه الأخيرة تقولها الأجيال السابقة للتعبير عن القساوة التي يتعرّض إليها السّجين في ذلك الوقت حيث لا يستطيع أحد أن يصبر على ذلك إلاّ الرّجل الشديد كما يمكن أن تعني أيضا محاولة من الناس أن يغيّروا من نظرة المجتمع السلبية إلى السّجين لكي يسمحوا بإدماجه. وهل هذا إعتراف من آمين بإنتمائه إلى والده والإعتزاز بذلك؟ أم نوع من الولاء غير المرئي؟ –تريد سعدية أن تذكّر إبنها بالتشبّه بوالده وبالكره الذي يكنّه له. وهذا التذكير هو بمثابة عدم الخروج عن قوانين التحالفات النسقية. –يحاول آمين طمأنة والدته بعدم رغبته في التشبّه به. أليس هذا محاولة من الوالدة أن تكوّن	**مفهوم الإنتماء (Neuburger,2011)** **العلاقة الإنصهارية (Hefez.,2004)**

	علاقة إنصهارية بـ آمين؟ ما مدى خطورة ذلك على إكتسابه للإستقلالية التي تسمح له بالتمايز وإكتساب الشرعية البنّاءة؟	**التبعية وعدم الإستقلالية (Nagy,1973, Ducommun - Nagy , 2010)**
-آن: فالرّجل عندما يسرق أو يدخل السّجن فلا عيب عليه ويقول آمين مقولة قبائلية« idye3ddayen lhevs dargaz » أنا أيضا جرّبت السّجن في المركز. ولم أندم على ذلك.	-إنّ الإحساس بالإنتماء إلى الوالد جعل من آمين إن يعيد الإعتبار لوالده من خلال الإحساس بالظّلم، فضرب التلميذ الذي أهانه أمام الزملاء وتكسيره لعضو الأنف فهذا في التراث القبائلي أو حتى الجزائري فالأنف هو بمثابة رمز للسّمعة الجيّدة والشرف. يقال أنّ الرجل لديه النيف E Nnif أو الأنف. إنّ آمين قد أحسّ بالظّلم الذي مارسه والده عليه والذي جاء في هذه الحادثة بمثابة عامل مفجّر للظّلم الذي أحسّ به آمين من طرف زميله في المدرسة جعله يكرّر نفس الظّلم ليأخذ شكل مأساة وأخذ بالثّأر وهذا من خلال الإستعانة بجماعة الرّفاق التي تعتبر كجماعة الولاء.	**مأساة الظلم واللاّعدالة (Nagy,1996)** **الأردواز المحلقة (Nagy et spark,1973)**
-سع: أنت فخور بذلك، تريد أن تشبه والدك رغم أنّك تكرهه.	-ما سبب هذا الكره للوالد لإبنه؟ ما سبب هذا الإهمال له والتخلّي عنه؟	**الإهمال و التخلّي (Sotile et al,1987)**

آن: لا أريد أن أشبهه لكن الحياة خارج العائلة قاسية والناس يستغلّون ويحتقرون الضّعيف لهذا أنا أقف بوجه كل من يريد أن يظلمني حتى والدي. –بح: مالذي جعلك تدخل المركز؟ –آن: يضحك ويهزّ رأسه، هذه قصّة طويلة. لقد تشاجرت مع أحد التلاميذ في المرسة، ثمّ لقّبني بوالدي وقال لي أنّه سكران وكان مسجونا، ولهذا ضربته أمام التلاميذ في المدرسة وكسرت له أنفه، وعندما خرجت في المساء وجدت والده ينتظرني أمام باب المدرسة وأشبعني ضربا حتى أغمي عليّ، وعندما سمع والدي تشاجر مع والد التلميذ وتوعّدني والدي أن يقتلني إن وجدني في المنزل. وفي ذلك الوقت قمت أنا وبعض أصدقائي للأخذ بالثأر وذلك بسرقة متجره		

وتخريب كل السلعة الموجود في الدّاخل. ثم بلّغ عنّي وأخذوني رغم أنّي لم أعترف لهم بذلك حتى اليوم. -بح: كيف عاشت عائلتك هذا الحدث عندما دخلت المركز؟ -آن: والدي لم يبالي بي أبدا ولم يزورني، بل والدتي فقط وأختي مليكة.		

- عرض وتحليل المخطط الجيلي العائلي وخريطة عائلة آمين:

وفيما يلي سيتم عرض المخطّط الجيلي والخريطة العائلية لعائلة آمين:

- **بنية العائلة:** تتكوّن عائلة آمين من الأب 57 سنة، بدون عمل حيث يعتمد على زوجته وابنته في إعالة العائلة، وهو الابن الأكبر بين أخوين كمال وجمال اللّذان توفيا بسكتة قلبية، أبوه مات بنفس المرض. وأما الأم فتبلغ من العمر 52 سنة، خياطة وهي البنت الكبرى بين أخويها الذين توفيا بحادث مرور أليم وتركا زوجات وأبناء، وأما أبوها فقد توفي أيضا قبل أخويها بحادث مرور أيضا.

- **مجموعة الإخوة:**

مليكة: عمرها 30 سنة مطلّقة ولديها بنت تعيش مع والدها وهي غير متعلّمة ومكتئبة.

إيمان: تبلغ من العمر 27 سنة، متزوّجة ومنفصلة عن زوجها منذ سنتين، معلّمة في الابتدائية بدون أولاد. **آمين:** الأخ الأصغر يبلغ من العمر 17 سنة، مستواه الدراسي التاسعة أساسي وهو المفحوص المعيّن.

– دورة الحياة:

ما يمكن ملاحظته في العائلة الممتدّة للأب كثرة الوفيات بنفس المرض بدأ بالوالد محند بالسّكتة القلبية، وبعدها بـ**ثلاث** سنوات يتبعه ابنه جمال تاركا وراءه **ثلاث** بنات ثمّ بـ**ثلاث** سنوات أيضا يتبعه كمال والذي بدوره يترك **ثلاث** أبناء. فما سرّ هذا الرّقم الذي يعتبر كرقم سحري Chiffre Magique في التحليل النّفسي كما يعتبر في التناول النسقي كأوّل أزمة واختبار يمر بهما النسق العائلي وذلك بولادة الطّفل الأوّل لتصبح العائلة متكوّنة من **ثلاث** أفراد. كما تسمح الخريطة العائلية بملاحظة زواج كل من مليكة وطلاقها بعد **ثلاث** سنوات من الزّواج تاركة طفلة عمرها سنتين وهي تعيش عن والدها، وأختها إيمان أيضا انفصلت عن زوجها الذي وصف على أنّه مدمن على المخدّرات.

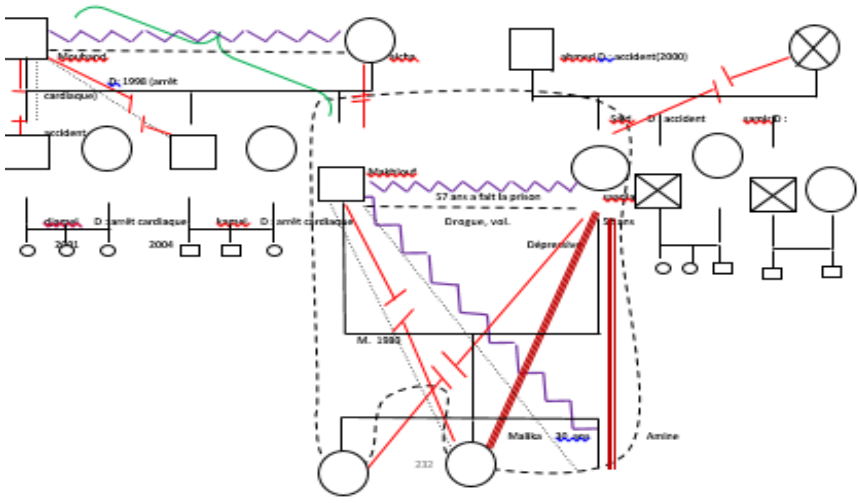

Imane 27 ans

– النماذج المتكرّرة عبر الأجيال والأحداث المميّزة لها: في هذه الحالة أيضا وجد الباحث صعوبة كبيرة في إتمام المخطط الجيلي مع العائلة وهذا يرجع إلى إعادة تذكّر بعض الأحداث التي أحيت معاناة الفراق والموت المأسوي خاصة من جهة عائلة الوالدة سعدية التي فقدت والدها في حادث مرور أليم، وبعدها بسنتين تفقد أخويها في حادث آخر وهذين الآخيرين يتركان وراءهما أولاد وبنات وهذه الوفيات المؤلمة من شأنها ربّما أن تزعزع استقرار النسق العائلي، ما ميّز هذه المقابلة العائلية الخاصة ببناء المخطط الجيلي هو طغيان مشاعر الحزن إضافة إلى البكاء المستمر الشيء حيث عمد الباحث إلى ترك الوالدة تبكي وتعبّر عن مشاعرها لعلّ ذلك سيحرّك سيرورة الحداد عندها من أجل الاستمرار والخروج من قوقعة الحداد المرضي أو الاكتئاب الذي تعيشه. من خلال ملاحظة المخطط الجيلي وكذا الخريطة العائلية لعائلة آمين، تظهر الوفيات الكثيرة في العائلة الممتدة لكلا الوالدين وكأنّها **مقبرة** على حد تعبير الباحثة **(وندلوس، 2014 :304)**. وهذا راجع إلى حوادث المرور التي كادت أن تقضي على عائلة سعدية بأكملها إضافة إلى السّكتات القلبية التي راح ضحيتها الوالد محند وابنيه جمال وكمال وهذا من جهة عائلة الوالد. كما يمكن ملاحظة تشابه شكلي بين العائلتين الممتدّتين لكلا الوالدين من حيث الأحداث المأساوية التي انتهت كلّها بالوفاة بنفس السّبب، سواء بحوادث المرور أو السّكتة القلبية، حيث لم يبقى سوى سعدية في تلك العائلة حيث أنّ زوجات أخويها رحلتا إلى عائلتهن الأصلية حيث أنّه لا يوجد من يقف إلى جانبهنّ إذا بقيا، الشيء الذي جعل من سعدية تهاب الذهاب إلى منزل والدها الذي تشبّهه بالمقبرة وهذا لأنّه يذكّرها بشبح الوفيات، أمّا من جهة الوالد مخلوف فنفس الأحداث وفاة كل من الوالد وأخويه بنفس المرض، وهما بدورهما يتركان زوجتين

وأولاد بحيث هذه الأخيرتين أيضا رحلتا إلى عائلتهنّ الأصلية بسبب قسوة حماتهنّ عليهن، إضافة إلى أنّهن صغيرات السّن وهذا حسب سعدية.

– **النماذج العلائقية:** يلاحظ من خلال الأحداث التي مرّت بها عائلة آمين والعائلة الممتدّة للوالدين أنّها أثّرت كثيرا في تماسك العلاقات بين أفرادها، وفي إخلال وزعزعة النسق العائلي، فالحداد غير المنتهي الذي تعيشه سعدية من خلال الاكتئاب مع عدم استقرارها وتفاهمها مع زوجها الذي أصبح مدمن على المخدّرات والذي تركها وترك عائلته بسبب دخوله 4 سنوات إلى السّجن قد أثّر سلبا على العلاقات بين أفراد العائلة، إنّ عدم استثمار الزّوجين في علاقاتهما جعل كل منهما يحاول استقطاب فرد أو أكثر من العائلة من أجل التحالف معه لمواجهة الصّراعات والأزمات التي يمكن أن تأتي من النسق الفرعي الآخر، إذ نلاحظ سعدية على أنّ كل المسؤولية قد سقطت على عاتقها فيما يخص الجانب المادي للعائلة، فرغم معاناتها النّفسية إلى أنّها تعمل في الخياطة من أجل ضمان لقمة العيش لأبنائها، إضافة إلى طلاق مليكة والذي يمكن أن يفهم كمحاولة للانضمام إلى النسق الفرعي الذي يظمّ سعدية وآمين خاصة وأنّها تحمل نفس العرض الذي تعاني منه سعدية (الاكتئاب) ضد مخلوف لكن هذا الأخير والذي زوّج ابنته إيمان من رجل يشبهه إلى حدّ كبير(مدمن على المخدّرات) استطاع أن يرجع ابنته إن صحّ التعبير (انفصلت من زوجها) التي تعمل كمعلّمة في الابتدائية من أجل التحالف معها وأن يستمد قوّته منها أو بالأحرى بمالها. إذن يمكن ملاحظة الصراعات في العائلة الممتدّة للوالدين وانتقالها إلى عائلة آمين، كما يظهر ذلك من خلال العلاقة الضّعيفة والصّراعية بين آمين ووالده مخلوف وهذا الأخير مع زوجته، إضافة إلى صراعاته مع ابنته

مليكة وهذه الأخيرة مع أختها إيمان، وما يمكن أن نستنتج أنّ الوالدين كوّنا نسقين فرعيين متصارعين وهذا كالاتي:

- النسق الفرعي الذي يجمع تحالف كل من سعدية، مليكة وأمين.
- النسق الفرعي الذي يجمع كل من مخلوف وابنته إيمان.

فالوالد مخلوف متحالف مع والد وهذا ضد والدته وهذا ما أراد أن يعيد تكراره مع عائلته إذ تجمعه علاقة ضعيف وصراعية مه زوجته سعدية مشابهة لتللك التي جمعت بين محند وزوجته عيشة، لكن الفّرق الوحيد هو لماذا تجمعه علاقة صراعية مع ابنه آمين ما دام أنّه هو قد جمعته علاقة تحالف مع والد؟ هل لأنّ آمين الذي يعتبر الولد الوحيد في عائلته يذكّره بأنّه أصبح هو الأن الولد الوحيد في عائلته أيضا بسبب وفاة أخويه؟

- تحليل المقابلة العائلية مع عائلة آمين:

وجد الباحث سهولة كبيرة في البدء في المقابلة العائلية الأولى وهذا راجع خاصة إلى الارتياح الذي أبدته الوالدة سعدية والثّقة بالنفس الذي تشعر بها، إذ تلقي التحيّة وتجلس مباشرة، أمّا من جهة آمين فلم يكن مرتاحا أبدا حيث أبدا انزعاج كبير من تواجد والدته.

وعندما طلبنا تقديم العائلة، قامت الوالدة أوّلا من تقديم نفسها ومباشرة تقدّم سنّها ومعاناتها من الاكتئاب وأنّها تعالج عن الطبيب العقلي، فهل هذه المعلومات مهمّة بالنسبة لتقديم نفسها، أم أنّ هذا يعود إلى أنّها تشعر بالارتياح والثقة اللّذان يمكن أن يسمحا لها بالتعبير عن معاناتها، كما يمكن أن يكون طريقة من أجل أن تشعر الباحث بأنّها أيضا تحتاج إلى المساعدة وهذا ما لم نراه في العائلات السابقة التي أبدت مقاومة حيال ذلك، وتقول سعدية في هذا الصدد:« ***أنا سعدية، 52 سنة أعالج لدى الطبيب العقلي***

بسبب الإكتئاب الذي أعاني منه منذ وفاة إخوتي بحادث مرور. وهذا الزّعيم آمين 17 سنة يعني من مشاكل عديدة.» حيث يظهر من خلال هذا أنّ سعدية واعية بالسبب الذي أدّى بها إلى الاكتئاب وهو وفاة إخوتها حيث ظهرت علامات القلق والخوف على وجهها وكأنّ الحدث وقع الآن، الشيء الذي يمكن أن يفسّر ربّما قوّة الصّدمة التي عاشتها أثناء فقدانها لأخويها في حادث مرور الشيء الذي جعلها تعيش نوع من الحداد المرضي، لكن هذا لم يمنع من رؤية ووعيها بحالة ابنها آمين الذي يعاني حسبها من مشاكل عدّة، لكن ما سبب مناداته له بـ **الزّعيم !** هل هذا يعني بالنسبة لها أنّه يمكن الاعتماد على نفسه أي أنّه يتحمّل المسؤولية، أم أنها شعرت بأنّه الزّعيم من خلال سلوكاته وتصرّفاته العدائية التي من خلالها يعتمد على نفسه في اتخاذ هذه القرارات في التعدّي على ممتلكات الغير أو حتى السّرقة، أم أنّه الزّعيم لأنّه خارق للقوانين وللسلطة رغم صغر سنّه. ورغم ذلك هل أمّه فقط من تشعر بمعاناته؟ ماذا عنه هو؟ لم يستطع آمين في المرّة الأولى من أن يجيب أو يتحدّث عن مشكلاته، لا بل أنكر أنّه لا يعاني من ذلك، لكن سرعان ما أدرك أنّ كل أفراد العائلة تعاني من مشاكل، وكأنّه يريد ربّما أن يؤكد لنا بطريقته الخاصة بأن من يعيش في عائلة أين كل أفرادها يعانون فلا يعقل أن لا يعاني هو من مشاكل :« ***أنا لا أعاني من شيء*** ! يتردّد قليلا ثم يقول: ***عائلتنا كلّها تعاني، ليس لدينا الحظّ هذا قدرنا.*** » لكن ما سبب رؤية ذلك على أنّه سوء حظ وقدر؟ أو ربّما من أجل التهرّب من المسؤولية، ولهذا يحاول آمين أن يخفّف من معاناته وذلك بتعميمها على كل أفراد عائلته، فهل هذا يعني ربّما أنّه يريد أن يبرّر مشكلاته السلوكية وذلك بربطها مع السياق العائلي المريض: « ***والدتي مريضة، أختاي انفصلتا عن زوجيهما وهما تعيشان معنا، والدي كذلك*** » وهذا ما تحاول سعدية شرحه، إذ تقاطع آمين وتقول:« ***إن زوجي***

مخلوف بطّال لا يعمل بل يزيد من معاناة العائلة وهذا بسلوكاته الإدمانية على الكحول إضافة إلى السّرقة، وهذا الذي تسبب في سجنه. فهو غير مبالٍ بنا تماما بل يتدخّل في شؤون أبنائه خاصة آمين ومليكة، فهذا هو شغله الدائم، كما يعامل آمين بقسوة ويضربه لأتفه الأسباب، أمّا أنا فلا يبالي ولا يهتم لأمري أبدا، لا يعرف إلا الصراخ في وجهي إن لم يجد المال عندي، لأني أعمل في ورشة الخياطة... تفكّر للحظة ثم تكمل الكلام ***أمّا إيمان فقد انفصلت عن زوجها بسبب المخدّرات، ومليكة أيضا تطلّقت وتركت لزوجها بنت. أظنّ أنّ عائلتنا أصابتها اللّعنة عائلة زوجي مات أفرادها جميعا بنفس المرض، وعائلتي بحوادث المرور، وعائلتنا أيضا تعاني،... ثمّ تبكي بحرقة»*** ، ما معنى هذه المقاطعة لكلام ابنها آمين هل لأنّها لا تثق في كلامه، أم أنّها الناطقة الرّسمية في العائلة؟ أو ربّما هي المحتاجة إلى التعبير عن معاناتها، فإدمان الزّوج على المخدرات خاصة أنّه عاطل عن العمل يمكن أن يؤزّم من وضعهم خاصة وأنّه يعاملهم بقسوة، لكن ما يظهر جليا أنّ مخلوف لا يهتم لأمر زوجته وكلاهما لم يستثمرا من علاقاتهما، وهل هذا راجع فقط إلى مسؤولية الزّوج، لكن ماذا عن اكتئابها؟ وتأثيره على علاقتها الزّوجية؟ ولهذا يمكن أن تظهر بوضوح معاناة كامل أفراد العائلة، ويؤكد **Osofsky et al (1993)** أن أطفال الأمهات المصابات بالاكتئاب هم أكثر عرضة للمشكلات المرتبطة السّلوكية مما يجعل أطفالهن عرضة أكثر لعدم ضبط الانفعالات بالمرور إلى الفعل. خاصة وأنّ كل من مليكة وإيمان تخلّت كل واحدة عن زوجها، فما معنى هذا التخلّي والانفصال، ومن أجل من؟ هل مليكة تخلّت عن زوجها وابنتها أيضا من أجل الولاء لأمّها خاصة وأنّها هي أيضا مكتئبة وهذا حسب ما قالته سعدية، وإيمان أيضا التي تخلّت عن زوجها المدمن مثل والدها مخلوف وهذا أيضا يمكن أن يفهم ربّما من خلال الولاء لوالدها، وهذا ما قام به آمين لكن

بطريقة أخرى وهذا بالسّلوكات الجانحة كتعبير عن ولائه لوالده من خلال انفصاله لعدّة أشهر عن العائلة، أو هي أيضا طريقة لطلب العدالة والقانون من العدالة المؤسّساتية والتي تعتبر غائبة في عائلته وخاصة من جهة والده التي كانت معاملته له بطريقة غير عادلة وظالمة من خلال المعاملة السيّئة والإهمال. فكل هذه المعاناة سببها اللّعنة وهذا حسب سعدية وأمين أيضا، فعندما تغيب التفسيرات الحقيقية للأحداث والأزمات فيمكن ربّما للأسطورة أن تلعب دورا مهما في قدر هذه العائلة في دورة حياتها. يمكن القول أن هناك تشابه كبير بين أفراد العائلة كل حسب ولائه للوالد على حساب الوالد الآخر، إذ يحاول آمين تفسير ما يحدث له من معاملة سيّئة من قبل والده إلى الشبه الذي يشتركان فيه ويقول: « ***الكل يقولون أنّي أشبهه في التصرّفات و في السلوكات التي أقوم بها، فهو لا يتحمّل ذلك ولأنّي لا أسكت له ولا أرضخ لأوامره، هو لا يحبّني أنا أيضا لا أحبّه، هو أناني يحب فقط بطنه*** (ليقصد بذلك حبه لشرب الخمر) ***ولا يكترث لنا وهو يتدخّل في شؤوننا ولا يسمح لي بالخروج مع أصدقائي، وأنا بدوري لا أطيعه، لهذا فنحن نتشاجر دائما، وأختايا تتشاجران أيضا، إذن فوالدي لا يحب أحدا في العائلة إلاّ إيمان التي تطيعه وتعطيه المال لأنّها معلّمة.*** » يؤكد لنا آمين أن سبب هذه المعاملة تعود إلى أنّه يقوم بنفس السّلوكات الجناحية التي قام بها والده وهذا ولاء له كما رأينا سابقا لكن ربّما يعود سبب عدم تحمّل الوالد لهذه السّلوكات لدى آمين إلى أنّها تذكّره بوضعيته التي أصبح عليه الآن كالإبن الوحيد في عائلته مثل آمين وهذا منذ أن توفي إخوته كمال وجمال، فماذا جرى في عائلته الممتدة لكي يشعر بكل هذا الكره اتجاه ابنه؟ فعلاقاته الجيّدة والتحالفية مع والده ضد والدته ربّما يمكن أن تخلق صراعات مع إخوته أو بالأحرى ستحاول الوالدة من جهتها أن تبني بدورها علاقات تحالفية مع واحد من أبنائها على الأقل من أجل مجابهة القلق والصراعات الصادرة من زوجها ومن مخلوف أيضا، فهذا

النسق العائلي المضطرب في العائلة الممتدة لمخلوف انتقل بطريقة مشابهة وهذا عبر الأجيال من خلال عدم الاستثمار الزّوجي للعلاقات التي تتخلّلها الصراعات والتباعد العاطفي وكذا القيام بتحالفات الأبناء مع أحد الوالدين ضد الوالد الأخر والذي يمكن بدوره ربّما أن يخلق صراعات الولاء و التوزيع العادل لهذه الدّيون المتمثّلة في الظّلم عبر الأجيال، لهذا نتساءل عن كيفية مجابهة ومعايشة كل من مخلوف وسعدية لهذه الحدادت المؤلمة، وهل عودت كل من مليكة وإيمان إلى المنزل العائلي وانفصالهما من زوجيهما هو بمثابة عدم تكرار تجربة الفراق والهجران أي أنّ في هذه العائلة كل فراق واستقلالية يعاش على أنّه هجران ومعاناة. إنّ عدم عودة العائلة إلى المقابلة الثانية لم يسمح لنا بمعرفة السبب الذي جعل كل من سعدية ومخلوف يستحقان كل هذه المعاناة، أي البحث عن ماذا فعل كل منهما ليستحقان هذه اللّعنة التي سقطت على عاتقهما.

كل هذه الأحداث التي مرّ بها الوالدين استطاعت أن تنتقل عبر الأجيال، فنلاحظ أنّ سعدية تلقي باللّوم على زوجها وترى أنّ عدم تفاهمها معه هو الذي أزّم الوضع في عائلتها إضافة إلى فقدانها لأخويها في حادث مرور، إذن هذه اللّعنات تبعتها حتى في عائلتها الصّغيرة، إضافة إلى شبح الحداد والموت الذي لا يفارقانها رغم مرور سنتين على وفاتهما، هذا البعد العاطفي بين الزّوجين جعل إذن كل منهما يتحالف مع أبنائه وهذا ضدّ الوالد الأخر، فالنسق العائلي لـ أمين يتميّز بتحالف الوالدة بكل من النسق الفرعي للأبناء الذي يضم كل من مليكة التي تعاني نفس معاناة والديها وهذا نتيجة علاقتهما الإنصهارية والمتقاربة إضافة إلى المفحوص المعيّن آمين، وهذا ضد الوالد المتحالف مع النسق الفرعي للبنت إيمان والذي تجمعهما نفس العلاقة. وتقول سعدية في هذا الصدد:« ***قلت سابقا أني وزوجي لا نتفاهم تماما ولا يكلّمني إلاّ بالصراخ والشجار، وآمين أيضا يريد أن يتبع طريق***

والده لكنّني أمنعه فهو يطيعني هو و مليكة، فأمّا إيمان فهي تطيع وتحبّ والدها أكثر منا، فلا تجلس معنا ولا تحدّثنا كثيرا وتتشاجر معنا وتدافع عن والدها. لهذا أنا تعبة كثيرا من هذه الضغوطات، كما أنّ عائلتي كلّها فقدتها في لغة حوادث المرور صورتهم تتبعني أينما كنت وحتى في الأحلام، فلم يبقى إلاّ زوجتيْ إخوتي وأبنائهما، والآن أعاني في هذه العائلة المشؤومة. »، فرغم كل هذا الظّلم والمعاملة القاسية التي تعرض لها أفراد العائلة وخاصة آمين لكنّ هذا الآخير مازال يشعر بالإنتماء لوالده لأنّه حتمية على الطّفل أن ينتمي إلى أحد والديه وهذا ما أكّده **Neuburger (2004)** بأنّه بدون الانتماء إلى أحد الوالدين سيموت الطّفل. لكن هذا الانتماء يجب أن يتميّز بالأمان الذي توفّره نوعية العلاقة أو التعلّق وكذا الثّقة بين آمين ووالده، لكنّ إهمال الوالد له ومعاملته معاملة سيّئة يمكن أن يزعزع هذا التعلّق الآمن ليصبح مصدر القلق ليعيق حركة التمييز والانفصال وبذلك عدم اكتساب الاستقلالية، وفي هذا الصّدد يؤكد **Bowlby** أن علاقة الطفل بأبويه هي التي تحدد الإحساس بالأمن الأساسي الذي من خلاله يمكن للطفل ببناء إحساسه بصورة جيدة لقيمته وثقته بذاته التي تمكّنه من القيام بعلاقات عاطفية بنوعية جيدة مع محيطه وهي التي تكوّنه لعملية التطبيع الاجتماعي والإحساس بالنّضج .(**Bowlby, 1978)** أو بالأحرى يمكن اعتباره كولاءً له وهذا سواء من خلال التّشبيه به فيما يخص سلوكاته أو حتى التّضحية بحريته والدّخول إلى المركز كما دخل والده إلى السّجن، وهذا الذي يمكن أن يعتبر ربّما كإعادة ممارسة اللاّعدالة التي تعرّض لها من أجل المطالبة بالعدالة والقانون الذي لم يجدهما في عائلته وخاصة عند والده الذي يعتبر غير ملتزم في أدواره، إذ يقول آمين:« ***فالرّجل عندما يسرق أو يدخل السّجن فلا عيب عليه ويقول آمين مقولة قبائلية*** **idyes3ddayen lhevs dargaz** » إذن بالنسبة لآمين فلا تقدّر التّضحية بالحرية أمام المطالبة بالقانون حتى وإن كان ذلك على

مستوى المؤسّسات العقابية، فالرّجل الرّاشد بالنسبة لـ آمين في هذا الصدد هو الذي يمارس الظّلم على الآخرين من أجل المطالبة بالعدالة القانونية الغائبة في عائلته فهو الحلّ الوحيد بالنسبة لـ آمين من أجل تحقيق العدالة و التشبّه بالوالد وبذلك اكتساب صورة الرّجل الرّاشد الذي يتميّز بالفحولية la virilité خاصة أنّ هذه الاستعارة والمقولة القبائلية تساعده إلى حدّ ما على الحفاظ على سمعته بعد خروجه من المركز أو (السّجن)، وهذا يشبه إلى حدّ كبير ما قاله كل من عماد و نذير فيما يخصّ كلمة أن أصبح **بطل**، أو حتى اكتساب تلك الصورة للشاب القوي العدواني الذي يرهب بها من يحاول أن يحتقرهم « ***الحياة خارج العائلة قاسية والناس يستغلّون ويحتقرون الضّعيف لهذا أنا أقف بوجه كل من يريد أن يظلمني حتى والدي*** » ، وهذا ما يعيدنا إلى الميكانزم النّفسي ضمن التناول السيكوديناميي الذي يستعمله الشخص الذي تعرّض إلى العنف أو المعاملة القاسية وهو التماثل بالمعتدي L'identification à l'agresseur فلماذا كل هذا الكره والمعاملة السيّئة من طرف مخلوف،

هذا ربّما راجع إلى الدّيْن الذي أحسّ به إتّجاه أخويه اللّذان تجمعهما علاقة صراعية مع والهما عكسه هو الذي تجمعه بوالده علاقة تحالفية ضدّهما وضد والدته، إذن فيمكن أن يكون عدم الإنصاف في المعاملة هو الذي نتج فيما بعد عدالة توزيع نفس المعاملة الغير العادلة في عائلة آمين فقد انتقلت عبر الأجيال، فبالنسبة لـ آمين فإنّه يذكّر والده دائما بمكانته ودوره عندما كان طفلا خاصة علاقته بوالدته التي تتميّز بالإنصهارية والتقارب فهي عكس ما كانت عليه علاقة والده مخلوف بوالدته، وهذا من شأنه ربّما أن يزيد من شعوره بالذّنب وثقل الدّيون عليه خاصة وأنّ العدالة القانونية غائبة في عائلته لهذا يحاول البحث عنها لدى الآخرين وذلك في التعدّي على ممتلكاتهم من أجل الحصول على العقاب الذي سيشعره بطريقة أو بأخرى

بالقانون والعدالة في توزيع الحقوق، إنّ خصائص هذه الديناميكية العلائقية التي تميّزت بها عائلة مخلوف هي التي انتقلت عبر الأجيال من خلال المعاملة السيّئة وممارسة اللاّعدالة والظّلم وأيضا من خلال أسطورة اللّعنة التي يبرّر فيها أفراد العائلة سلوكاتهم التي لا يستطيعون تحمّل عواقبها أو حتى الشعور بالذّنب الذي يمكن أن يحسّ به الظّالم، حيث حسب **Neuburger(2011)** فإنّ للأساطير وظيفة الحماية لأفراد العائلة حيث تمدّهم بالمعاني للأحداث المقلقة في وسطهم الاجتماعي التي تساعدهم على اكتساب نوع من القدرة والقوّة على المواجهة، أو الاستسلام والرّضوخ لهذه الأسطورة.

كل هذه الخصائص في العلاقات التي تجمع أفراد عائلة آمين جعلت منهم غير ملتزمين بالحدود والأدوار وهذا أثناء حدوث الأزمات، وهذا ما صادف حادثة تعدّي آمين على زميله إضافة إلى السرقة و التخريب الذي قام بهم مع أصدقائه، فاللّجوء إلى جماعة الرّفاق هي أيضا يمكن أن تفهم ربّما على أساس البحث دائما عن مرجع شرعي يقرّ ويشرّع سلوكاته التّدميرية وهذا ضمن إطار قانوني خاص بتلك الجماعة: « **لقد تشاجرت مع أحد التلاميذ في المدرسة، ثمّ لقّبني بوالدي وقال لي أنّه سكران وكان مسجونا، ولهذا ضربته أمام التلاميذ في المدرسة وكسرت له أنفه، وعندما خرجت في المساء وجدت والده ينتظرني أمام باب المدرسة وأشبعني ضربا حتى أغمي عليّ، وعندما سمع والدي تشاجر مع والد التلميذ وتوعّدني والدي أن يقتلني إن وجدني في المنزل. وفي ذلك الوقت قمت أنا وبعض أصدقائي للأخذ بالثأر وذلك بسرقة متجره وتخريب كل السلعة الموجود في الدّاخل. ثم بلّغ عنّي وأخذوني رغم أنّي لم أعترف لهم بذلك حتى اليوم** » .

- مناقشة حالة عائلة آمين:

يظهر من خلال المعلومات المقدّمة في المقابلة العائلية مع عائلة آمين إضافة إلى كل من تحليل المخطط الجيلي، البطاقة العائلية، أنّ الديناميكية العلائقية التي تتميّز بها عائلة آمين وهذا أوّلا من حيث الدراسة البنائية أنّ الحدود التي تجمع أفراد العائلة متفشّية وفي نفس الوقت يتخلّلها عدم الالتزام لأفراد العائلة اتجاه بعضهم البعض وهذا عند حدوث الأزمات في العائلة مثل دخول آمين غلى مركز إعادة التربية كما تظهر الحدود بين الوالد وكل من مليكة وآمين ويمكن أن نسجّل حدود جامدة بين الزّوجين نتيجة للإهمال وعدم الالتزام بينهما، كما يمكن ملاحظة ذلك فيما يخص الأجيال السابقة أيضا وذلك بين جدّ آمين عمّيه كمال وجمال. فكل هذا ساهم في الخلط في الأدوار حيث جعلت من كل فرد يتدخّل في شؤون الفرد الأخر ممّا خلق جوا مليء بالصراعات وعدم التفاهم وهذا بسبب تخلّي الوالدين عن أدوارهما أيضا إضافة إلى الصراعات القائمة بينهما حينما يسمحا بالاتصال المباشر جعلت من النسقين التحتيين اللّذان يجمعان كل من سعدية، مليكة وآمين ضد مخلوف وابنته إيمان دائما في صراعات وعدم التفاهم إضافة إلى عدم الالتزام عند حدوث الأزمات في العائلة، كما تظهر أنّ السّلطة تحملها سعدية على عاتقها وهذا بتحمّلها مسؤولية إعالة الأبناء لوحدها، فالوالد مخلوف عاطل عن العمل بل يستغلّ فقط أموال بنته إيمان التي هي أيضا تتميّز بعدم الالتزام لعائلتها بل هي حليفة والدها فقط، كما تظهر هذه الديناميكية العلائقية لعائلة آمين من ناحية التناول السياقي أنّها تتميّز بالظّلم وبالمعاملة السيّئة وأيضا بالنبذ والهجران وهذا من طرف الوالد، إنّ إدمانه وعدم تكفّله بعائلته نتج عن ذلك اللاّعدالة وعدم الإنصاف في المعاملة مع أفراد عائلته، حيث أنّ الأبناء يعبّرون عن ولائهم المباشر للوالد ضد الوالد الأخر وهذا يخص كل من مليكة التي يمكن ربّما فهم انفصالها من زوجها

وتركها لبنتها كولاءٍ مطلقٍ لوالدتها خاصة وأنّها مصابة بنفس العرض الذي أصيبت به الوالدة وهو الاكتئاب، كما أنّ إيمان انفصلت عن زوجها منذ سنة وهذا الأخير مدمن وعاطل عن العمل مثل والدها والتي بدورها فضّلت الاعتناء بوالدها والتقرّب منه أكثر من زوجها، ويبقى آمين فهو في انشطار بين الولاء للوالدة التي تحميه بقربها منه أو الانتماء للوالد الظّالم الذي يعامله بقسوة، إنّ هذا التناقض يمكن أن يؤزّم من معاناة آمين على المستوى العلائقي إذ بالعلاقة المنصهرة مع الوالدة التي لا تريد أن تعيش فقدانات أخرى حتى بالفراق(أن يصبح راشدا) فهو يعقّد من فرصته في اكتساب الاستقلالية والتفرّدية التي يمكن أن تكسبه الشرعية البنّاءة من خلال مسامحة الوالد، لكن هذا الأخير بدوره مستمر في إهماله وظلمه لـ آمين من خلال المعاملة السيّئة له. كل هذه المأساة والظّلم الذي تعرّض آمين إليه جعلته يكتسب الشرعية المدمّرة وهذا ما سيسمح له بإعادة إنتاج هذا الظّلم من خلال الاعتداء على الأخرين وهذا ربّما لتعويض سلطة القانون الغائبة في عائلته وهذا من خلال البحث عنها ولو عند عدالة قانون المؤسّسة(مركز إعادة التربية).

يتّضح في الأخير أنّ عائلة آمين هي تشبه إلى حد كبير الأجيال السابقة من كلا الوالدين وهذا لتشابه الأحداث والأزمات التي مرّت بها العائلتين وخاصة خطر الموت والحدادات التي تحوم في ذاكرتهم، وحتى على المستوى العلائقي فيما يخص الصراعات، التحالفات بين الأنساق الفرعية ضد الأنساق الفرعية الأخرى، إضافة إلى الولاء المنشطر وغياب القانون المنصف الذي يكمن في العدالة في المعاملات، كل هذه الخصائص والمميّزات جعلت من أفراد العائلة(سعدية وآمين) أن يفسّرا ما حدث سابقا وما يحدث أنّ سببه هو اللّعنة، وبهذا تؤكد لنا عائلة آمين أن الفرضية العامة قد تحقّقت بالإضافة إلى تحقق الفرضيتين الجزئيتن .

خاتمة:

جاء البحث الحالي إلى دراسة الدينامية العلائقية لدى أسرة المراهق الجانح كنموذج لدراسة حالة، وهذا من أجل العرف على نوعية العلاقات التي تجمع أفراد العائلة الواحدة فيما بينهم وما يتخلّلها من صراعات ومعاملات سيّئة، وما يربطه من صراعات الولاء والإحساس بالشرعية التدميرية خاصة من جهة المفحوص المعيّن الذي أصبح ينظر إليه على أنّه سبب معاناة العائلة بأكملها. يشير إلى مجمل حدود الدراسة التي يمكن أن تترجم على شكل صعوبات وعراقيل واجهت الباحث في مرحلة الدراسة الاستطلاعية، وهذا راجع إلى الطابع القانوني الذي لم يسمح لنا ولم يساعدنا في الإلتقاء بالعائلات في مركز إعادة التربية، حيث تطلب الأمر البحث عن هذه العائلات خارج سياق المركز أي محاولة زيارتها في البيت العائلي لكل منها، وهذا الإجراء تطلب منا وقت وجهد كبيرين من أجل التنقل في تلك القرى والمداشر الجبلية الوعرة والبعيدة كثيرا، حيث واجهتنا صعوبات من النوع الثقافي والاجتماعي فيما يخص طابع تلكك المناطق التي يقال عنها أسر وعائلات محافظة أو بالأحرى منغلقة على نفسها فيما يخص العلاقات مع الأشخاص خارج النسق الأسري، كما أنّ هذا البحث سمح للباحث أيضا من طرح بعض التساؤلات التي من شأنها أن توحي بدراسات أخرى في نفس السّياق، وهي أنّه ما لاحظناه عند العائلات أو هذه الأسر هو الكراهية أو الكره والنبذ الشديدين الذي يمارسه أحد الوالدين على المفحوص المعيّن وهذا حسب ما قاله كل مفحوصي عائلات مجموعة البحث وأيضا تلك العلاقة الإنصهارية للوالد الأخر الذي تجمعه بالمفحوص المعيّن .

قائمة المراجع:

الرّسائل الجامعية:

1. وندلوس نسيمة (2014)، أهمية **التناول النسقي في الكشف عن المعاناة النفسية والكفاءات الفردية والعائلية لدى مرضى السرطان وعائلاتهم**، أطروحة الدكتوراه في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر2.
2. **ميزاب ناصر (2007)، المعاملة الوالدية للحدث الجانح و علاقتها بمفهوم الذات** (دراسة مقارنة) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة دولة في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر.
3. **يعقوب مراد(2017)، أثر النسق الأسري في ظهور سلوك الإعتداء لدى المراهق**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة دولة في علم النفس العيادي، ، جامعة الجزائر2.

المراجع باللغة الأجنبية:

4. Bergheul.S. (2013). *Traits de personnalité´ prédictifs de la délinquance* étude comparative entre une population de jeunes délinquantes et de jeunes conventionnelles canadiennes in Annales Médico-Psychologiques 171 : PP 220–225. Elsevier Masson SAS.
5. Bowlby J . (1978). *Séparation, Angoisse et colère*, P.U.F, paris.
6. Boszormenyi- Nagy I. (1965/1980), *Une théorie des relations* :expérience et transaction : in Boszormenyi- Nagy I& Framo J. :*Les psychothérapies familiales*.PUF,Paris.
7. Ducommun-Nagy, C. (2010), *loyautés familiales et processus thérapeutique*, cahiers critique de thérapie familiale et de pratique de réseaux :44,28-42 .
8. Gharbi, A. (2011-2012). *La psychogenèse de la délinquance, approche culturelle du phénomène*. Thèse Présentée en vue de l'obtention d'un Doctorat Es/Sciences en Psychologie Clinique. Université de Constantine.
9. Minuchin, S. (1979 a). *Families and family therapy*, Cambridge: Harvard University Press.
10. Neuburger, R. (2004). *Rituels et mythes* : l'approche de la thérapie familiale, science de l'homme et société,N° 72, PP.10-15.
11. Neuburger, R. (2011). *le mythe familial*. Italie : ESF, Collection Art de la psychothérapie.

12. Osofsky,J., Eberhart, Wright A, Ware, L., Hann, D. (1993). *Les enfants des mères adolescentes*, un groupe à risque du point de vue psychopathologique, psychiatrie de l'enfant, 36, 1, PP.253-287.